حكايات جزائرية

الأميرة السجينة

عشبة خضار

دوّنها : رابح خدّوسي
عائشة بنّور
رسم : عباس بن يوسف

obeikan.com

الأميرةَ السجينةَ

فِي سَالِفِ العَصْرِ والأَوَان كَانَت فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ فِي عُمر الزهُور... لَهَا شَعْرٌ ذَهَبِيٌّ.. طَوِيلٌ.. اسْمُهَا "عُشْبَةُ خَضَّار".

وَالدُهَا سُلطَانٌ ذُو لِحْيَةٍ بَيْضَاءَ وَشارِبٍ طَوِيلٍ، يَلبِسُ بُرنُوسًا وَحِذَاءً جِلْدِيًا مَوْسُومًا بِرُسُومَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، يَضَعُ فِي رَقَبَتِهِ قِلاَدَةً وَفِي إِصْبَعِهِ خَاتَمًا يَلْمَعَانِ كالبَرْقِ الخَاطِفِ كُلَّمَا قَبَّلَتْهُمَا الشَّمْسُ بِأَشِعَّتِهَا فَيَزْدَادُ المَكَانُ ضِيَاءً..

كَانَت وَحِيدَةُ وَالِدِهَا بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّهَا.. فِي جَزِيرَةٍ خَضْرَاءَ يَسْكُنَانِ قَصْراً تَحُومُ حَولَهُ النَّوَارِسُ البَيضَاءُ وَتَتَسَلَّلُ عَبْرَ نَوَافِذِهِ الكَبِيرَةِ أَشِعَّةُ شَمْسِ الصَّبَاحِ الضَّاحِكَةِ فَيَتَلألأُ شَعْرُ عُشْبَةِ خَضَّار بِتَمَوُّجَاتِ قَوْسِ قُزَحِ الذَّهَبِيَّةِ.

يَجلِسُ وَالدَها تَحْتَ شَجَرَةٍ وَافِرَةِ الظِلاَلِ يُفَكِّرُ فِي شُؤُونِ البِلاَد.

فِي صَبَاحِ يَومٍ جَمِيلٍ طَلَبَتْ عُشْبَةُ خَضَّار مِنْ وَالِدِهَا السُلطَانِ السَّمَاحَ لَهَا بِمُرَافَقَةِ صَدِيقَاتِهَا إِلى الغَابَةِ المُجاورةِ للنُّزهَة وقَطْفِ الأَزْهَارِ.. لَكِنَّ الوَالِدَ رَفَضَ خَوْفاً عَلَيْهَا، وَبَعْدَ إِلْحَاحٍ مِن صَغِيرَتِهِ وَافَقَ شَرْطَ العَودَةِ قبلَ الغُرُوبِ.

فَرِحَتْ عُشْبَة خَضَّار وَعَانَقَتْ وَالِدَهَا السُلطَان ثُمَّ وَدَّعَتْهُ.

ذَهَبَتْ مَعَ الصَّغِيرَاتِ يُنْشِدْنَ أَغَانِي الفَرَحِ وَالمَرَحِ، فِي الغَابَةِ بَدَأْنَ يَلْعَبْنَ لُعْبَةَ الغُمَيْضَةِ.

وَفِي غَمْرَةِ اللَّعِبِ وَالمَرَحِ انْشَغَلَتْ عُشْبَةُ خَضَّار بِفَكِّ ضَفَائِرِ شَعْرِهَا الطَّوِيلِ، الَّذِي

اشْتَبَكَ بِنَبَاتِ الحَسَكِ بَيْنَ الأَشْجَار، فَانْعَزَلَتْ الطِّفْلَة وَاخْتَفَتْ عَنْ أَنْظَارِ صَدِيقَاتِهَا اللاَّئِي بَحَثْنَ عَنْهَا كَثِيرًا دُونَ جَدْوَى فَعُدْنَ إِلَى القَرْيَةِ باكِيَاتٍ..

بَقِيَتْ عُشْبَةُ خَضَّار وَحْدَهَا فِي الغَابَةِ، هَاهِي تُنَادِي عَلَيْهِنَّ وَعَلَى وَالِدِهَا وَقَدْ تَاهَتْ بَيْنَ ظِلاَلِ الأَشْجَارِ الكَثِيفَةِ وأَرْعَبَهَا صَوْتُ البُومِ وَنَقِيقُ الضَّفَادِعِ.

جَلَسَت قُرْبَ بِرْكَةِ مَاءٍ تَبْكِي فَسَمِعَتْهَا الأَرْنَبُ واقْتَرَبَت مِنْهَا وَسَأَلَتْهَا عَنْ سَبَبِ بُكَائِهَا، ثُمَّ سَاعَدَتْهَا فِي تَخْلِيصِ شَعْرِهَا.

مَشَتْ "عُشْبَةُ خَضَّار" فِي الغَابَةِ المُوحِشَةِ وَهِي تَلْتَفِتُ يَمِينًا وَيَسَارًا لَعَلَّهَا تَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، فَإِذَا بِهَا تَلْمَحُ ضَوءً خَافِتًا يَنْبَعِثُ مِن بَعِيدٍ فَهَرَعَتْ نَحْوَهُ وَالجُوعُ وَالعَطَشُ قَدْ أَخَذَا مِنْهَا مَأْخَذَهُمَا وَالتَّعَبُ قَدْ أَرْهَقَهَا.

وَصَلَتْ مَكَانَ الضَوءِ فَإِذَا بِهِ كُوخٌ قديمٌ، وَلَمَّا أَطَلّتِ الطِّفْلَة دَاخِلَهُ رَأَتْ عَجَبًا، امْرَأَةٌ عِمْلاَقَةٌ ذَاتُ شَعر كَثِيف، تَطْحَنُ القَمْحَ وَالشَّعِيرَ، حَاوَلت الهُرُوبَ لكِنَّ المَرْأَةَ العِمْلاَقَةَ شَاهَدَتْهَا فَلَحِقَتْهَا وَأَمْسَكَتْها ثُمّ أَدْخَلَتْهَا الكُوخَ وَأَغْلَقَتِ البَابَ.

بَعْدَ حِينٍ حَمَلَتِ المَرْأَةُ العِمْلاَقَةُ الأَمِيرَةَ عُشْبَةَ خَضّار بَيْنَ يَدَيْهَا وَأَرْضَعَتهَا حَتّى زَالَ جُوعُهَا وَعَطَشُهَا فنَامَتْ.

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ انْدَهَشَت لِحَالِهَا وَحَاوَلَت الفِرَارَ مَرّةً ثَانِيَةً، لَكِنَّ العِمْلاَقَةَ أَمسَكَتْ بِهَا وَقَالَتْ لَهَا:

-لَوْ لَمْ تَرْضَعِي ثَدْي لَتَرَكْتُكِ خَارِجَ الكُوخِ لِلذِّئَابِ وَالأُسُودِ، تَجْعَلُ مِنْ لَحْمِكِ مُضْغَةً وَمِنْ دَمِكِ شَرْبَةً، أَنْتِ هُنَا سَجِينَةٌ فَلاَ تُحَاولي الهَرَبَ مَرّةً أُخْرَى.

وَبَعْدَ أَنْ عَادَ أَبْنَاءُ المَرْأَةِ العِمْلاقةِ مَاكُوس وَشَقِيقَهُ الصَغِيرِ مَانُوس انْدَهَشَا لِوجُودِ فَتَاةٍ غَرِيبَةٍ مَعَ أُمِّهِمَا انْبَهَرَا لِطُولِ شَعْرِهَا الذَّهَبِي الذِي يَنْسَدِلُ عَلَى جِسْمِهَا الصَّغِيرِ..

بَقِيَتْ الأَمِيرَةُ فِي سِجْنِهَا الصَغِيرِ شِبْهُ مُقَيّدَةٍ وَبَكَتْ كَثِيرا لأَنّها لَمْ تَسْتَطِع العَيْشَ بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهَا،، فَكَّرَت فِي الهَرَب فَخَافَتْ أَنْ تَضِلَّ الطَّرِيقَ وَبَقِيَت حَائِرَةً تَبْحَثُ عَنْ مَخْرَجٍ مِنْ ذَاكَ السِّجنِ المَفْتُوحِ.

❋❋❋

حَزِنَ السُّلطَانُ كَثِيرًا لِغِيَابِ ابْنَتِهِ الوَحِيدَة وَزَادَ حُزْنُهُ بَعْدَمَا فَشِلَ جُنْدُهُ فِي العُثُورِ عَلَى طِفْلَتِهِ المَفْقُودَةِ، وَعَادُوا خَائِبِينَ لا يَحْمِلُونَ مَعَهُمْ سِوَى بَعْض شَعْرِهَا الذِي عَثَرُوا عَلَيهِ فِي الغَابَةِ.

وَبَعْدَ تَفكِيرٍ طَوِيلٍ، خَرَجَ إِلى شَعْبِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ المُسَاعَدَةَ فِي البَحْثِ عَنْ ابْنَتِهِ، وَأَخْرَجَ مِنْ جَيبِهِ الشُعَيرَاتِ التِي أَحْضَرَهَا الجُنْدُ، وَقَدَّمَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَعْرَةً، ثُمَّ قَالَ:

- مَنْ يُعِيدُ لِي ابْنَتِي سَيَكُونُ شَرِيكًا لَهَا فِي المُلكِ بَعْدَ وَفَاتِي أَوْ زَوْجًا لَهَا.

وشَرَعَ الشَّبَابُ فِي عَمَلِيّةِ البَحْثِ لَيْلاً وَنَهَارًا، لَكِنّهُم لَمْ يَفْلَحُوا فِي العُثُورِ عَلَيْهَا.

❋❋❋

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ مَرَّ أَحَدُ الرُّعَاةِ بَقَطِيعِهِ أَمَامَ الكُوخِ فَوَجَدَ عَلى بَابِهِ "عُشْبَةُ خَضَّار"، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهَا، ابْتَسَمَتْ لَهُ وَطَلَبَتْ مِنْهُ إِحْضَارَ مُهْرٍ لِيَتَدَرَّبَ عَلَى رُكُوبِهِ الصَّغِيرُ مانُوس ابْنُ العِمْلاَقَةِ.

فَرَدَّ قَائِلاً:

-مُنْذُ أَنْ غَابَت "عُشْبَةُ خَضَّار" لَمْ تَهْطُلِ الأَمْطَار، وَمَا أَنْبَتَتْ الأَرْضُ أَخضَر وَلَمْ تَلِد الفَرَسُ مُهْرًا كَيْ أَمْنَحَهُ أَخِيكِ الصَّغِيرَ.

حِينَهَا تَذَكَّرَت فَبَكَت وأبْكَتْ مَعَهَا السَّمَاءَ فَسَقَطَت الأَمْطَارُ، وَضَحِكَتْ فَأَشْرَقَتِ الشَّمسُ...

فَعَرَفَ الرَّاعِي أَنَّهَا عُشْبَةُ خَضَار...وَرَجَعَ مَذْهُولاً إِلَى القَرْيَة وَهُو غَيْرُ مُصَدِّقٍ

obeikan

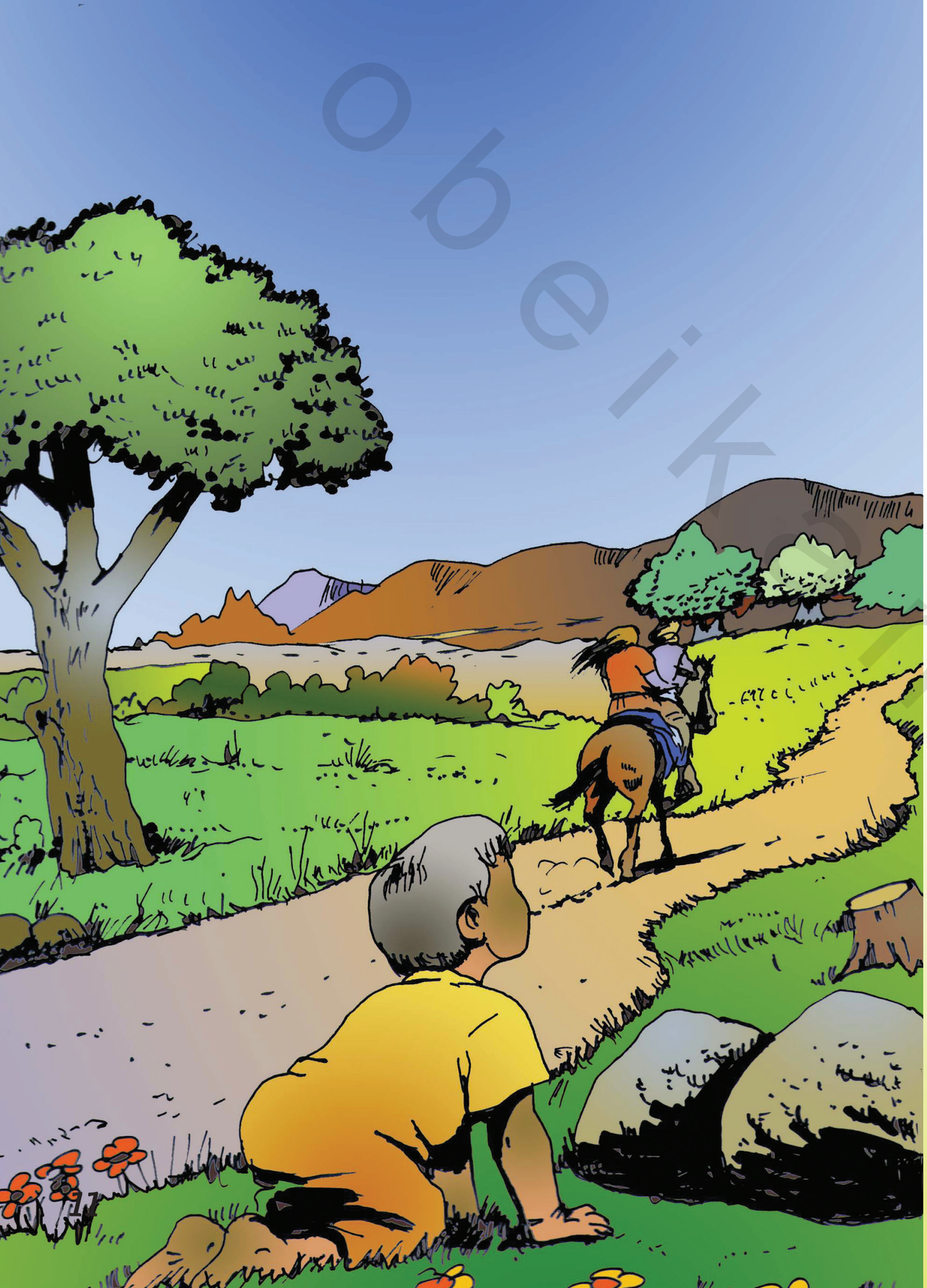

مَـارَأَتْ عَيْنَـاهُ وَكَتَـمَ ذَلِـكَ فِي سِرِّهِ..

بَعْـدَ أَيَّـامٍ عَـاوَدَ زِيَّارَتَـهَا فِي نَفْسِ الـمَكَانِ ليَتَأَكَّـدَ مِـنْ أَنَّ تِلكَ الفَتَـاةَ هِـي "عُشْبَةُ خَضَّـار" ابْنَـةُ الـمَلِكِ، وَجَدَهَـا تُـلاَعِبُ الصَّغِيـرَ، فَطَلَبَـتْ مِنْـهُ مَـرَّةً ثَانِيَـةً إِحْضَـارَ مُهْـرٍ لأَخِيهَـا الصَّغِـيرِ، رَدَّ عَلَيهَـا هَـذِهِ المَـرَّة قَائِـلاً:

-مِـنْ يَـومِ غِيّـابِ "عُشْبَة خَضَّـار" مَـا صَبَّـتْ أَمْطَـارْ مَـا وَلَـدَت الفَـرَسُ أَمْهَارْ وَمَـا رَبَّتْ النَّـاقَةُ أَحْوَارْ..

وَضَحِكَتْ.. فأَدْرَكَ أَنَّهَا "عُشْبَة خَضَّار" ابْنَةُ الـمَلِكِ.

تَـسَرَّبَ الخَـبَرُ فِي الـمَدِينَةِ، وَأَصْبَحَ كُلُّ وَاحِـدٍ يَدَّعِـي أَنَّـهُ يَعْـرِفُ مَكَـانَ عُشْـبَة خَضَّـار، وَأَنَّـهُ سَـيَنَالُ جَائِـزَةَ الـمَلِكِ، إِلَى أَنْ عَلِـمَ صَاحِـبُ القَصْـرِ بالحَقِيقَـةِ مِـنْ صَاحِبِهَا، فَتَـوَجَّـهَ إِلَى الغَابَـةِ الخَـضْرَاءِ لِيتَأَكَّـدَ مِـمَّا قِيـلَ لَـهُ.. هَـا قَـدْ وَصَـلَ وَالحَـرَسُ يَتْبَعُـهُ، انْدَهَـشَ وَهُـو يَرَاهَا إِنَّهَا ابْنَتُـهُ الّتِـي ضَاعَتْ فِـي الغَابَةِ مُنْـذُ سَنَـوَاتٍ عَدِيـدَةٍ، فَـرِحَت عُشْبَـةُ خَضّـار كَثِيراً بِلِقَـاءِ أَبِيهَـا الَّـذِي احْتَضَنَهَـا بِشَـوْقٍ وَلَهْفَـةٍ، وقبْـلَ مُرَافَقَتِـهِ قَالَـتْ لَـهُ:

- هَذَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ، أُمُّهُ غَائِبَةٌ، لَنْ أَتْرُكَهُ وَحِيدًا، فَأَجَابَهَا وَالِدُهَا:

- سَنَحْمِلُهُ مَعَنَا.

كَـانَ مُمْتَطِـيًّا جَوَادَهُ وَخَلفَهُ ابْنَتُهُ وَالصَّغِـيرُ مَانُوس الذِي كَانَ يَتَسَاءَلُ:

- إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ بِنَا هَذَا الرَّجُلُ؟

فِي الطَّرِيقِ تَوَقَّفَ الـمَلِكُ عَـنْ السَّيرِ قَصْـدَ الاسْتِـرَاحَةِ قَلِيـلاً، فانْسَحَـبَ الطِّفْـلُ مَانُوس واخْتَفَـى بَـيْنَ الأَشْـجَارِ دُونَ أَنْ يَنْتَبِـهَ لِغِيَابِـهِ أَحَـدٌ...

وَلَـمَّا أَحَسَّـتْ عُشْبَةُ خَضَّـار بِغِيابِـهِ أَخْـبَرَتْ وَالِدَهَـا فَتَعَجَّبَ وَأَرْسَـلَ مَنْ يَبْحَثون عَنْـهُ، فَلَمْ يَجِـدُوهُ...

❋❋❋

عَادَتِ الـمَرْأَةُ العِملاَقَـةُ إِلَى الكُـوخِ فَلَـمْ تَجِد ابْنَهَـا وعُشْبَـةَ خَضَّـار، بَحَثَـتْ عَنْهُمَـا كَثِيراً حَتَّـى يَئِسَـتْ مِـنْ العُثُـورِ عَلَيهِـمَا فَحَزِنَتْ لِفُقْدَان رَامُوس وَظَنَّـتْ أَنَّ عُشْبَـةَ خَضَّـار اخْتَطَفَتْـهُ وَهَرَبَـتْ بِـهِ بَعِيـدًا فَقَرَّرَت الانْتِقَامَ مِنْـهَا... وَوَاصَلـتِ البَحْـثَ عَنْهُـمَا فَبَـدَأتْ تَتَمَـوَّهُ كُلَّ مَـرَّةٍ فِي شَـكْلِ حَيَـوانٍ.

فِي إِحْـدَى الـمَرَّاتِ تَـمَثَّلَتْ فِي صُـورَةِ نَاقَـةٍ واتَّجَهَـتْ صَـوْبَ القَـصْرِ النَّوْرَسِـي... تَبْحَـثُ عَـن ابنِهَـا، وتَنْتَظِـرُ عُشْبَةَ خَضَّـار لِتَحمِلَهَـا قَصْـدَ الفِـرَارِ بِهَـا بَعِيـداً...

أَقْبَلَـت عُشْبَـةُ خَضَّـار نَحْـوَ النَّاقَـةِ السِـحْرِيَّةِ وَبَيْنَـمَا هِـي تَسْـتَعِدُّ لِرُكُوبِهَـا إِذْ هَبَّـتْ عَاصِفَـةٌ شَدِيـدَةٌ تَحَوَّلَتْ إِلَى زَوْبَعَـةٍ رَمْلِيَّـةٍ أَغْبَـرَت الجَـوَّ وَأَظْلَمَـت الـمَكَـان... فَانْعَـدَمَـت الرُؤْيَـةُ، وَبَعْـدَ فَتْرَةٍ قَصِيـرَةٍ هَدَأَتِ العَاصِفَةُ وَانْقَشَـعَ الغُبَـارُ وَصَفَا الجَوُّ فَكَانَت الدَّهْشَةُ الكـبرَى !!.

رَأَى الجَمِيـعُ شَبَحًـا قَادِمًـا مِن بَعِيـدٍ... هَاهُـو يَقْتَـرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا، لَقَـدْ بَـدَأتْ تَظْهَـرُ مَلاَمِحُـهُ... إِنَّـهُ وَلَـدُ الـمَرْأَةِ العِمْلاَقَـةِ الصَّغِيرِ... كَانَ تَائِهًـا...

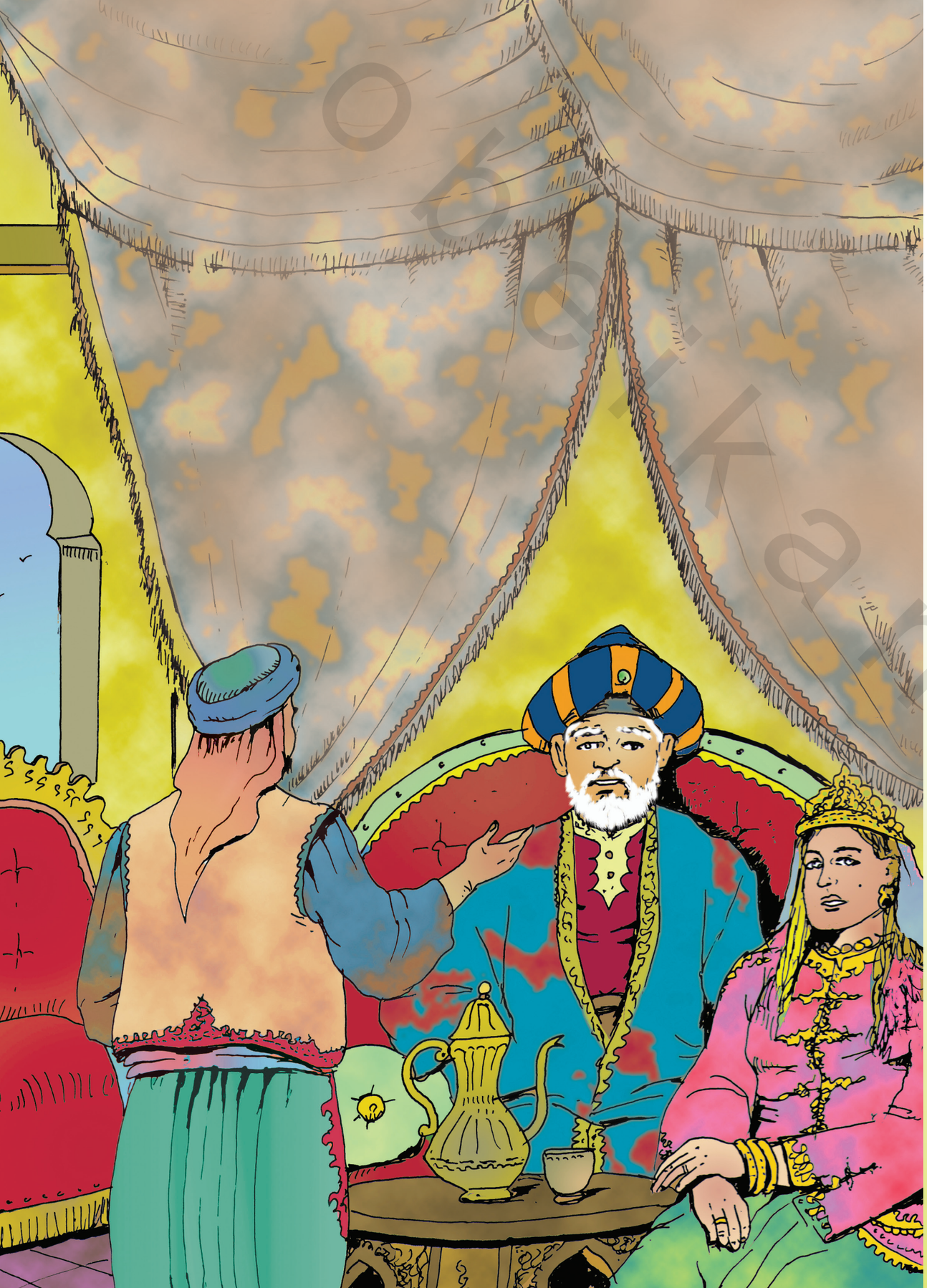

عَادَ الابْنُ الضَّالُ وَقَدْ صَـارَ شَابًّا يَافِعًا وَعَادَتِ العِمْلاَقَةُ إِلَـى حَالَتِـهَا الطَّبِيعِيَّـةِ بَعْـدَ أَنْ كَانَتْ فِي صُورَةِ نَاقَـةٍ.

الْتَقَـى الابْـنُ بِأُمِّـهِ،،، حَمَلَتْـهُ عَـلَى ظَهْرِهَـا ثُـمَّ نَظَـرَا صَـوْبَ الجَمِيعِ وَانْصَـرَفَا مُسْرِعَـيْـنِ تُجَاهَ الغَابَـةِ..

لَمْ تُصَـدِّقْ عُشْبَـة خَضَّار مَا رَأَتْ مِن هَـوْلِ الـمُفَاجَـأَةِ... وَبَعْـدَ أَنْ اسْتَعَـادَتْ وَعْيَـهَا أَسْرَعَـت نَحْـوَ القَصْرِ الـمَلَكِي.

❋❋❋

بَعْـدَ أَيَّامٍ قَـدِمَ الرَّاعِـي إِلى القَصْر يُرِيدُ مُقَابَلَةَ السُّلطَان لِيَطْلُبَ مِنْـهُ تَنْفِيذَ وَعْـدِهِ.

- هَل يَفِي السُّلطَـانُ بِوَعْـدِهِ وَيَجْعَـلَ الرَّاعِـي شَرِيكًـا فِي الثَّرْوَةِ أَوْ زَوْجًـا لِلأَمِيـرَةِ عُشْبَـةَ خَضَّار؟!

obeikandl.com